

هذا التراب الغريب المرعب !

بقلم الدكتور شكري مصطفى

ويسأل العرافين والعلماء والآلهة .. لقد أدرك بغيرته الهادية ، ما لم يدركوه ، من ان المعرفة هي القوة .
وبعض أسباب الموقف القوي للعدو ، هذا النصر الذي حققه ثلاثا متتاليات في عشرين سنة ١٩٤٧ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، انه مسح بذلك على متناقضاته ومشاكله الداخلية ، وعلى تمزقه العرقي والفكري واللغوي التاريخي ، فاذا النصر يطوي كل ذلك ، يذيه في قدر صهيوني واحد : هو المزيد من التماسك ، المزيد من القوة ، والمزيد من التوسع والعدوان .

ان نقطة الانطلاق في صورة العدو أستعيرها من رواية صهيونية ومن روائية ، من زعماء ذلك القبيل .. موشي دايان الذي تعرفون ، له ابنة : يعيل دايان ، أدركتها حرفة الادب ، واذا كان أبوها .. كان للصهيونية مزارعا وعسكريا واثريا ، فهي على آثاره أيضا ، ولكنها من الجيل الثالث الذي بدأ يشك في قيم الآباء .. ولها الان أكثر من رواية . في روايتها الثانية « طوبى للخائفين » التي صدرت منذ أربع سنوات ، تروي (يعيل) من خلال عائلة عفري ، المهاجر الصهيوني ، في احدى المستعمرات ، الصورة الخلفية للتكوين الصهيوني القائم في الارض المحتلة اليوم . وفي الرواية بعض ما يروى . اذ يتصدى الاب عفري الذي يمثل الصهيوني الحديث ، مستعمر الارض ، لابنه الفتى نمرود وقد عرف انه يتردد على الكنيس للصلاة بتأثير يهودي عتيق ، فيقول عفري لابنه في ثورة : في القديم حين كنا في روسيا كان لا بد من اطاعة التلمود ، والمحافظة على الدين . أما الآن فقد أصبح لدينا شيء أهم : الارض ، أنت الآن اسرائيلي ، أما أنا فلم أكن أكثر من يهودي . في روسيا كان اسمي موئيل وقد بدلته حين جئت هنا واتخذت اسم عبري . لقد تركت هنسالك كل ما يتعلق بي من متاع واقارب ووجدت هنا ربا جديدا ، هذا الرب الجديد هو خصب الارض ، هو زهر البرتقال ، ألسنت تشعر بهذا ؟ ويتناول عفري من تراب الارض حفنة يسكبها في كف الصبي ويقول : امسك هذا التراب ، أقبض عليه ، تحسسه ، تذوقه ، هذا هو ربك الوحيد .

هذه الفقرة الكافرة تفتح نافذة على الجذر الاعمق والاخفى في الفكر الصهيوني ، تفضح في نسيجه المكون نقطة الفور التي شغلت خط الصهاينة منذ هرتزل الاول حتى دايان الاخير . بن غوريون يعترف بهذا . يعترف ان ما يربط اليهود ليس الدين اليهودي ، فاليهود الملحدون يهود أيضا . وليس العرق ، فهم ليسوا من عرق واحد ، وليس اللغة فهم يجهلون لها وتكاد تكون لغة متحجرة ، ولكن رؤيا « العودة » ، العودة الى أرض الميعاد ..

ويضيف المعجوز الذي تعطيه شيبته في عيون اليهود ملامح قضية اليهود الاولين : « كل الشعوب نشأت وتكونت ملتصقة بأرض معينة الا اليهود .. بينما الدين اليهودي هو دين ذو أرض ، هو أول دين ذو أرض معينة .. » .

ما فعلت الصهيونية كي تصل الى هذه الارض قصة تمتد على أعناق سبعين سنة ان لم تكن مائة سنة أيضا : هجرة تزحف ، ومسال يجمع ، وعود تعطي ، وكلب استعماري وضياح عربي جهول ، وضجيج بكل أفق .. تعرفون بلى تعرفون المأساة ، بعضكم عاشها بأعصابه ودم اهله . الصرخة التي جمدتها الفأس على فم الطفل فما تنطلق ، والامعاء

« العرقوب » وتر آشيل نعرفه .. واشيل نفسه قد نعرفه .. انه في الايام الاغريقية القديمة ، شيطان الابطال .. ملك الميرميدون ، الذي حملته الآلهة من رجليه وهو طفل ، ففطسته في نهر الخلود فلن يموت .. أعداؤه في حصار طروادة قاسوا منه مر العدوان والرهق ، أما سهامهم فكانت تطيش عنه ، وأما النضال فلم تكن بالفسة منه شيئا .. وخطر لاعدائه أن يسألوا العرافين والراسخين في العلم والآلهة ماذا يفعلون ؟ فانبثوا ان الآلهة حين غطسته في النهر أمسكت به عند قدميه من العرقوب فلم يمسه هناك ماء الخلود .. هناك اذن مقتله .. وما كان أسهل على خصمه البطل « باريس » من أن يسدد سهمه الساموم الى ذلك الوتر .. وجندلت الاسطورة ..

بعد حزيران الذي لم ينقض بعد والذي ما زال - ولطه سيظل طويلا - يروح ولا جبل « نيبير » ، في الضمير العربي ، انتصب فجأة في هذا الشرق العربي شبح آشيل ، الشيطان الذي تحميه الهة الدول الكبرى .. هل انتصب فجأة ؟ (أعيد العقل السليم أن يحسب ذلك) . الطفولة السياسية فحسب ، ودجل السياسة هما كانا يزنان لنا قبل حزيران انه غير موجود ، وانه الشلو الذي سوف ننتهب في مائدة شهية هيئة لينة .. فلما انهارت الاشعار وتعلق العدو خارجا كاللارد من مقم الصياد ، يعربد ويقهقه فوق الجثث والاشلاء .. في المدن والصحارى والهضاب المحتلة ، وعلى مزق الكرامة الهتيك .. الشعوب وحدها رغم اللطمسة التي تزيغ البصر ، هي التي أخذت تلتفت سائلة العرافين والعلماء والآلهة عن آشيل وعن وتر آشيل ، وعن العرقوب الذي هو المقتل .. ما هذا العدو ؟ وما أبعاد قواه ؟ وكيف حربته ؟ هذه الاسئلة مكتوبة بالف شكسل في كل عين لهفة وحرقة ووعدا بالنضال . وأعرف ان هذا الشطر الصعب : أعرف عدوك ، يقوم على الصراط بين الدعاية للعدو وبين الدعوة ضده ، يقوم على ذلك الحد الحرج بين أن يفجر بركان النقمة والثأر ، أو أن ينتهي الى مارج من اليأس مهين . والانسان ، لانه الانسان ، مسوق لان يصدق ، لا الواقع ولكن ما يريد أن يصدق ، لان يصم الاذن عن قوة العدو ويؤمن بالعكس بما يمتنى أن يكون عليه العدو . وينهمون العرب بهذا ..

دونو فان صاحب كتاب « نضال اسرائيل للبقاء » حول حرب حزيران يقول : « العرب يميلون الميل الشديد الى قبول ما يودون أن يسموه والى الغاء التحليل النقدي لما يريدون الإيمان به » . ويضرب مثلا على ذلك قصة غرق السفينة « جان دارك » عام ١٩٥٦ وهي ما تزال الى اليوم جارية في البحر ، وقصة ايمان العرب بالسوفييات سوف يدخلون الحرب معهم ضد اسرائيل ، وأين السوفييات ؟ .. أهم العرب العرب حقا يؤمنون ؟ .. كذب ما يفترون .. كل انسان كذلك ! ثم ألم يسهم الاعلام العربي الاعمى في توزيع هذا الحذر والضلال قراطيس وشعارات على الناس ؟

على ان أول امارات السلامة الحقيقية في هذه الجموع ، هو موقف الرفض الرائع الذي تقف ، وهو الواقعية الصارمة التي تواجه بها الدمار .. هو التوق لان تفهم حتى الاعماق ما وراء الجراح ، رغم الجراح ..
هكذا نجد الشعب يبحث على طريقته العفوية السليمة عن المخرج الصحيح .. عن السوعي الحقيقي .. عن العدو ذلك المجهول ..

التي رشقتها القنبلية على شجرة تهتر ، والرعب الذي تحجر عينها مستديرة بوجه العجوز الى الابد ، قبية الهول ، دير ياسين الاشلاء ، صور ما تزال تحرق الاجفان لها ، هذا التاريخ ندعه للتاريخ ونحلل على برودة الجبين - ان كان للحمى أن تكون باردة - المأساة ذات الحدين ...

ثمة في الجانب العدو هذا المشروع الاقتصادي والسياسي الذي بدأته الصهيونية في مطلع هذا القرن منطلقه فيه من أسطورة ، بلى من أسطورة فحسب ، والذي تحول الى واقع يمتد على حوالي خمسين ألف كيلومتر مربع من الأرض العريضة . انه في الحجم الديهوغرافي ، يمزق الأكياد لا من مليون عربي شريد ومليون عربي محكوم ولكن من مائة مليون عربي أيضا ، بينما يعمل له ومن ورائه ثلاثة عشر مليوناً من اليهود في ٦٧ بلداً على الأقل من بلاد العالم ، لدعم المليونين ونصف المليون الذين حشروا منهم في أرض فلسطين وإذا كان النصر والهزيمة انما يقاسان بالنتائج المادية فما من شك في ان الحركة الصهيونية التي بدأت بهرتزل ونوردوا ثم ركبها وايزمن وبن غوريون وانتهت أخيراً بجيل دايان ورايين قد انتصرت . . . (نريد ارضاً) كانت هي الصيحة ثم تحولت الى : (نريد هذه الأرض) . . . ثم صارت (نريد المزيد من الأرض) . . . ثم أضحت أخيراً (نريد الحدود الطبيعية لأرضنا) وان صيحة أخرى لتتبعها منذ الان منادية بالمدى الحيوي . . . خطوة خطوة ، تحركوا . . . اما نحن فقد مشيناها ، رجعناها . . . مشيناها خطى كتبت علينا . . . ومن كتبت عليه خطى مشاها . . . حائط المبكى القديم ، ملاحم الاضطهاد واساطيره ، المستعمرة الصهيونية ، خطوط الهجرة التي نصبت من (الدياسبورا) الى يشوف على كل شارع متناح ، الصناديق والفوهات ، الملايين ومزاريب المال ، الاحتلال ، الفصم الوحشي ، الفؤوس في الجماجم ، الجند المجنون بالدماء وريداً على وريد . . . كل ذلك انما وضعوه لخدمة فكرة واحدة : امتلاك التراب ، جوع الأرض كان وراء المأساة جمعاء . وايزمن قال : (ان بريطانيا انما تعهدت له بتسليم أرض فلسطين خالية من سكانها العرب) . وبراندس مستشار الرئيس الاميركي ويلسون ، فر وعد بلفور بان القصد منه هو ان يصبح اليهود اكثرية في فلسطين وعلى العرب ان يرحلوا الى الصحراء . (الكونفرس الاميركي طالب عام ١٩٤٢ باجلاء السكان العرب عن فلسطين ان هم عارضوا في انشاء تلك الدولة المقترحة) . ما حسب احد حساب العرب ، كمية مهملة كانوا ، والمد الاستعماري في الأوج .

وقد تم نهب الأرض بقرار دولي ، هو قرار التقسيم ٢٩ - ١١ - ١٩٤٧ ، ثم بالاحتلال الارهابي ١٩٤٨ . كان القرار الاول هو الاذن الرسمي الذي لم يعط الصهيونية الحق في استخدام قواها العسكرية غير الشرعية فقط في احتلال قاعدة ارضية لليهود ، ولكن زودها ايضا بخريطة معترف بها رسمياً من الناحية الدولية على الأقل للاستيلاء على تلك القاعدة للدولة . . . ما اهتمت دولة من تلك الدول التي صوتت لقرار التقسيم فيما اذا كانت اسرائيل قد قتلت بسرنادوت الوسيط الدولي لانه لم يجد ان من حق اليهود اخذ تلك المساحة ، او فيما اذا كانت اسرائيل قد اغتصبت بالاحتلال مرة ونصف المرة مما فرره لها المجمع الدولي . . . الناس في شغل عن كل اولئك ومن ذا الذي قال ان احداً في الدنيا يهتم لكل اولئك ؟

في الازمات المصيرية تبدو هذه العودة للبهديات نوعاً من الكشف المجهول ، ويبدو تثبيت بعض القيم والمفاهيم قريبا من الخطر والشأن من اخراج المعجزة ومن الحاح الخبز اليومي . بلى . . . اكرر ان الأرض هي القضية ، وهي رهان النصر ، هل فيكم من قرأ البيان الذي اعلن قيام اسرائيل منذ احدى وعشرين سنة ؟ الكلمة الاولى فيه تبدأ هكذا (أرض اسرائيل هي مهد الشعب اليهودي . . .) انه يتألف من تسع عشرة فقرة ، ثلاث منها فقط تتحدث عن تلك الأرض ، الزعماء الصهيونيون الثمانية والثلاثون الذين وقعوا البيان ما شغلهم في ست عشرة فقرة منه الا حديث الأرض . . . (الرب الجديد) الذي وجدوه أخيراً . . .

في نطاق الأرض ، نطاق اغتصابها ، والاحتفاظ بها ، ثم التحرك للزيد منها ، يقوم هذا الواقع الاسرائيلي القائم اليوم . ويقوم على اساس خطتين كلاهما خطة خسف وعدوان : خطة تضرب اعماق الجذور واصلها في الذي تم ابتلاءه من التراب الغريب ، وخطة أخرى تمتد الاطماع بالخطط والنظريات في الوقت نفسه ، لوجبة الفد . أرايت افهى البوا الضخمة حين تقع على غزال او صيد سمين كيف يتلعه ابتلاء على المفاجأة والسرعة فيتكور في جسمها الافعواني ، وتهدأ ، وتهدأ تنام بعض الوقت ريثما تتمشله ، اما عينها فتظللان مفتوحتين في ترقب الصيد الاخر للفد ؟ . . .

في الخطة الاولى : الهدف هو التفلغل العمقي فسي الأرض . الارتباط الحميمي بها شاقولياً ، تثبيت القدم في التراب حتى اخفى اغوار التراب ، انهم لا يريدون ارضاً فقط ، يريدون وطناً (هـآرتس) ، يريدون الفاء (المنفى = الدياسبورا) يخلق يشوف الاخير (الوطن القومي) ، يريدون تحويل اليهودي التائه الى يهودي مستقر ، اليهودي القديم الضائع ، يجب ان ينتهي ، ويبدأ اليهودي المواطن . كل جهدهم انما ينصب في هذين القطبين المتكاملين : نقل الهوية اليهودية الى الأرض ، ودمج اليهود بالمقابل في هذه الأرض .

من خلال هذه الاشعة ، اشعة الأرض والانفراس فيها ، اشعة الحاجة والاطماع الارضية ، يتكشف الهيكل المكون للعدوان الصهيوني وتفهم فيه النسج والاخلاط وعقد الاعصاب ومرأى الدماء ، والقوى المحركة . ولعلنا لا ننسى ان ثمة ثلاثة عشر مليون يهودي ينتظرون نجاح التجربة الصهيونية ليرثوا منا هذه الأرض وما عليها .

ان التكتيك الصهيوني للثبات في الأرض قد رسمه منذ خمس وسبعين سنة ذلك الصهيوني الاول هرتزل قال : سوف نسير الى ارض الميعاد حاملين شعار العمل ، وهكذا كان . بن غوريون بسدوره كان يقول باستمرار ان العمل يشكل الحق الطبيعي للملكية . اذن فيجب توسيع العمل الى ابعد مدى اقتصادي . فما حدود هذا العمل الصهيوني ؟ وكيف يبرز في الأرض المحتلة ؟ ما هي الاسس التي تجعله ناجحاً ؟ وكيف ينظم هذا المشروع الاسرائيلي من الداخل ؟

لنترك التنظيم السياسي لاسرائيل ، انه الواجهة التي تروغ . العمل الصهيوني الحقيقي يستخدمها ستارة مسرح :

رئيس الدولة الذي لا سلطة له - الدستور الذي لم يوضع بعد لانهم لا يستطيعون الاتفاق عليه - الكنيسة ذو المائة والعشرين عضواً بعدد ما كان في التاريخ الاقدم مجلس اليهود . - الانتخابات المباشرة على اساس القائمة الحزبية لا الترشيح الفردي والتي تجري كل اربع سنوات . والاحزاب . . . من اليمين الديني القومي الذي يحتل ١١ مقعداً في الكنيسة ويمثله آفودات اسرائيل ، وعمال آفودات . الى اليمين الصهيوني الذي يشكله حزبا الاحرار وحيروت ولهما ٣١ مقعداً ، ثم الى الوسط الاشتراكي الذي يتركز فيه حزب الماباي ذو الـ ٤٥ مقعداً وهو اقوى الاحزاب وفيه معظم من تعرف من رجال الحكم القدامى والجيش . وبجانبه الحزب الذي شقه بن غوريون من ضلع الماباي فنال عشرة مقاعد : حزب رافي . ثم الى احزاب اليسار : المابام الاشتراكي اليساري ذو الثمانية مقاعد واخيراً الماكي الشيوعيون من تقليديين هم جماعة ماير فيلتر - حيببي ، ومن منشقين جماعسة موشيه شنيه وميكونيس ولهم جميعاً اربعة نواب بينهم عربي واحد . والنواب العرب . . . بلى النواب العرب فهناك منهم اربعة والشيوعي خامسهم . . . هذا التكوين السياسي ندعه . . . ثمة وراء صورة الحكم ما هو اكثر شأناً ، ثمة ثلاث ركائز : التنظيم الاقتصادي والاساس العلمي - والتكوين العسكري . اما التنظيم الاقتصادي لاسرائيل فتتظيم عجيب غريب يسمونه احياناً اقتصاد العرفة الزجاجية ، ومن ابرز ميزات هذا الاقتصاد انه يزدرى بكل قاعدة اقتصادية ، يحترق ويتحدى كل خبرة وكل منطق متعارف عليه . . . ثم انه اقتصاد فريد ، ما من اقتصاد في الدنيا يشبهه في التكوين والموازن والاهداف والنتائج . ثم انه رغم العنوان الاشتراكي العريض الذي يحمله ، اقتصاد رأسمالي الاشتراكية

هذا التراب

— تدمة المنشور على الصفحة ١٣ —

فيه ، لصيقة للتصدير ، اما النظام بالاقتصاد الحر . وانه اخيرا ليس باقتصاد مستقل ، السرة والحبل فيه موصولان بالاقتصاد الاحتكاري الاميركي ، هذا الذي في الشرق العربي ليس الاستطالة شاذة للتراسات الاميركية وراء البحر . . . انه لا يمضي حسب منطق الاقتصاد المألوف لا ثمة مثلا ارتفاعا في مستوى المعيشة اكثر بكثير مما يقبل الدخل القومي . وثمة تثيرات ضخمة جدا في مشاريع متعددة كثيرة تنوء بها لو شادتها اشباه الدول الكبرى ، وثمة تثيرات في مشاريع غير اقتصادية ابدا ومع ذلك تنفذ . . . ويقصف الاقتصادي مشدوها امام المفامرة . . . ولكن اسرائيل لا تقف ، اقتصادها غير محدود بها ، انه لا يخطط لاسرائيل هذه ولا يعمل ضمن حدود اسرائيل ولا يرتبط بموارد اسرائيل ولا يعتمد على العمل والانتاج في اسرائيل، هنا تفرد . . . انه يهدف باستمرار الى استيعاب وامتصاص مئات الالوف من اليهود في مدى سنوات (استوعب حوالي المليونين في عشرين سنة ، بمعدل مئة الف كل سنة) ويعمل على اقوى تسليح ممكن يجعل طاقة اسرائيل العدوانية اضعاف مدها البشري والمادي والجغرافي . كما يطمح الى اوسع مقدار من التنمية والتطور الاقتصادي - الاجتماعي . . . واهم من كل ذلك ، يريد المشروع الصهيوني الى ان يثبت في النهاية انه مشروع اقتصادي رابع . . . رابع جدا . . . ذلك مبرر وجود اسرائيل الوحيد .

الاهتمامات التي تستأثر به هي : مشاكل الاستيعاب للمهاجرين الجدد التي تتبلع جهود الحكومة والوكالة اليهودية ، مشاكل المياه التي تزدهق الاسرائيلي عطشا (ويعمل عليها شركة تاهل للدراسة وميكوروث التنفيذ ، وتعتمد خمسة مشاريع كبرى ، احدها مشروع تحويل الاردن للنقب ، واخرها محاولات تحلية مياه البحر على اساس الطاقة الذرية بالتعاون مع الولايات المتحدة) . ثم مشاكل الانتاجية المرتفعة الضخمة لمواجهة النقص الخطير في الميزان التجاري والتضخم الخطير في النقد ، واخيرا واهم من كل اولئك الحفاظ على دجاجة البيض الذهبي : على مزاريب المال الاجنبي لتبقى في مستواها العالي دوما فلا تنقص ، وتنصب بالجان تبرعات وقروضا واسلحة وتعويضات ومعونات . . . وما يتكررون . . . واسرائيل في هذه النواحي قد حققت الاعجوبة ، ما ذلك من عبقرية العمل ولكن من عبقرية الاستغلال . ولقد اعانها على ذلك ثلاثة عوامل :

١ - ان الاقتصاد الاسرائيلي لم ينطلق سنة ١٩٤٨ من الصفر ، ولكنه انطلق وفي يده راسمال قوامه اولا ما جمع من مال اليهود خلال خمسين سنة وهو حوالي ١٥٠٠ مليون دولار ، وثانيا ما جمع من خيرات اليهود في فلسطين وهم ثروة بشرية من ٦٠٠ الف اوروبي ، واهم من هذا وذاك ما اغتصبه من العرب النازحين من مال وعقار وفرص اقتصادية ودخل قومي وحصص في المرافق والخدمات العامة تبلغ في التقدير الفين وثلاثمائة مليون جنيه استرليني (٦٤٤) مليار دولار . وبجانب كل اولئك اخذ قاعدة ارضية مجانية تبلغ عشرين الف كم^٢ .

٢ - اضاف هذا الاقتصاد اليه من القروض والتبرعات الكثير ، ومن التعويضات والمعونات الخارجية الارقام المذهلة ، وقد استطاع الاحتفاظ بها في مستوى عال من التمويل حتى الان عشرين سنة ، انها « دجاجة البيض الذهبي » . . . لقد اخذ من القروض والتبرعات مبلغ ٦٥٠٠ مليون دولار حتى ١٩٦٦ في اقل التقديرات المعترف بها . واخذ من اموال التعويضات الالمانية مبلغ ٧١٠٠ مليون دولار (٢٩٤٨ مليون مارك) وسوف ياخذ حتى ١٩٧٥ - حسب الاتفاقات الاخيرة سنة ١٩٦٥ - (٤٥ الف مليون مارك اي ١١٤٢ مليون دولار) . هذه الارقام نفهم معناها ، نفهم من خلالها مدى صمود الاقتصاد الاسرائيلي حتى الان على الاقل ، اذا عرفنا انها تبلغ في المجموع حوالي ٢١ الف مليون دولار ، بينما لا يتجاوز مجموع ارقام الميزانيات الاسرائيلية ٩٥٠٠ مليون دولار منذ سنة ١٩٤٨ حتى ١٩٦٦ . . .

٣ - ومن ناحية نالته تعطي اسرائيل تكوينها الاقتصادي صفة الاشتراكية . . . تتحدث دوما عن ذلك . . . بعض الدول والقطاعات التقدمية في الغرب وفي اسيا وافريقيا تعتقد ان هذه الايديولوجية وحدها تكفي مبررا لوجود اسرائيل . واذا كان نوع التوطن اليهودي المتدرج في فلسطين وموارده واهدافه قد اعطت الاستثمار الصهيوني بعض ملامح البروليتارية ، واذا كان التوجيه العقائدي الاستثماري قد جعل الزراعة تاخذ شكل (المستعمرة) الاشتراكية وجعل الصناعة تحصل الطابع العمالي فورا هذه القشرة الاشتراكية تنظيم اخر مختلف كل الاختلاف ، عقلية الاستغلال بلغ من براعتها التوفيقية ان جمعت النقيضين في نظام معا . الطابع الاشتراكي ياخذ الاقتصاد الاسرائيلي من ان القطاع العام يملك ٩٠ بالمائة من ارض الزراعة ، ومن ان العمل الزراعي يقوم على اساس المستعمرات ذات الكفاية الفنية والآلية المتقدمة والتي يبلغ عددها حوالي ٩٦٠ مستعمرة اكثر من ٦٥٠ مستعمرة منها انشئت بعد عام ١٩٤٨ . انها مستعمرات تقوم على اساس العمل لا الاستغلال الانساني ، ما كان منها قائما على اساس تعاواني (الموشاف) ، وما كان على اساس جماعي شيوعي (الكيبوتز) فهو سواء في اشتراكية التنظيم . . . لكن الصهيونية لا تتحدث بالطبع عن ان هذه المستعمرات خاسرة اقتصاديا وان ٨٨٤٤ بالمائة من سكان اسرائيل لا يسكنون الريف ، فليس ثمة في المستعمرات اكثر من ١١٤٦ بالمائة منهم ، وان هذه المستعمرات ليست سوى تكتلات جنود موزعة في المراكز الاستراتيجية والدفاعية ، ليست سوى مسامير تثبت الاستعمار ، سوى محاولة ليجاد فكرة الوطن لدى قبضة (الخالوتيزم) يستغلهم الايديولوجيون الصهيونيون لاثبات النظرية وانجاح مشروع التجربة . ولا تقول الصهيونية اخيرا ان كل مزارع يهودي كلفها ١٥ الف دولار . . . ولكنهم انما يشترون بذلك الارض نفسها والصلبة بالارض لا الانتاج وقبضة من القمح . وتحمل اسرائيل صفة الاشتراكية من خلال مظهر اخر : هو المظهر الحكومي العمالي ، فصحة القطاع الحكومي من الرسملة والتشهير قد تزايدت باستمرار حتى بلغت ٦٠ بالمائة ، كما ان ثلاثة اخصاس المستخدمين يعملون في هذا القطاع ، اما نسبته في الدخل القومي فتبلغ ٧٥ بالمائة ، وهو قطاع لا يهدف الى الربح ولكن الى الخدمات العامة ، ويظهر جهد ، في الزراعة وفي النقل وفي تجارة الجملة ثم في الصناعة لكن القطاع العام هنا لا يعني الحكومة فحسب ، بل يعني ايضا الجمعية النقابية العمالية (الهستدروت) Histadrot هذه المؤسسة التي تضم ١٤٨٠٠ مليون وثمانماية الف عضو . . . بينهم من العرب حوالي ٤٠ الف عضو . . . الهستدروت هو كل العمال وكل الاحزاب معا . مكاتبه ، مستوصفاته ، نواديه ، منظماته ، استثماراته ، تربط السكان جميعا في جبل واحد من وراء اسرائيل . . . هذه الهستدروت ، ان جاوزت المظاهر الى الخلفيات الاخرى ، الى الوجه الاخر للمدالية ، تكشف عن انها ليست نقابة العمال ولكنها هي رب العمل الاكبر . اموالها التي تستغل المستعمرات والمصانع والمصارف وشركات النقل والملاحة والصيد والمياه والبناء والتأمين لا يرى العمال من اربابها شيئا ، توزيعها سر صهيوني ، الارباح مخصصة للداية الدولية لاسرائيل ، ولتقديم الخدمات الداخلية وللزيد من الاستثمار والتوسع ، وهكذا فان حوالي ٧٠ بالمائة من اراضي المستعمرات تديره (هيفرات عوفديم) للهستدروت . وشركة سوليل بونيه ، من اكبر شركات البناء الدولية ، تتبع الهستدروت بميزانية سنوية تزيد على ٢٠٠ مليون دولار . . . والبنك العمالي (هابوقيل بانك) ثاني بنوك اسرائيل في الاهمية انما اسسته الهستدروت ، ان له ٨٢ فرعا ، ويتفرع عنه عشرات البنوك والشركات ايضا . وشركة كور اكبر شركة للصناعة الثقيلة والصلب والمعادن والنسيج ، والتي تملك ٢٣ مصنعا في اسرائيل اسهمها الاساسية بيد هذه الهستدروت وشركة شيكون (سكن) للاسكان ، وميكوروث للماء و (هاشنة) للتأمين . وشركات النقل الداخلي . وهامشبيرها مركزي لشراء حاجات المستعمرات . وتوفا للتسويق ولتصريف المنتجات الزراعية ، وحاقال (حقل) لخدمة المزارع . . . كلها مؤسسات الهستدروت . على ان النافذة التي تفتح الزيف الاشتراكي في الهستدروت وتكشف الصفة الحقيقية للعلاقات

الجامعات في الواقع ستنا ... وانما يلفت النظر امور اخرى فسي الميدان العلمي : في هذه الجامعات مثلا : ١٩١٨ استنادا ، قرابة النصف منهم في الجامعة الام . ولكن معظم هذه الكتلة العلمية بضاعة اوروبية مستوردة . بين ١٩٤٤ عالما فيزيائيا كيمائيا هم مادة اسرائيل العلمية عدت ١٨٣ من القراء . لم يولد في اسرائيل منهم ، عددا ، سوى ١١ واحدا فقط واذا كان في اسرائيل حوالي ستة الاف طبيب بمعدل طبيب لكل ٤٠٠ شخص فانها لم تنفق شيئا في اعدادهم . فاكثر من ثلثي هؤلاء الاطباء كلهم مستوردون ... وجاهزون في الوقت نفسه للتصدير كخبراء وبعثات الى افريقيا واسيا ...

وفي تلك الجامعات ، مثلا اخر ، قرابة عشرين الف طالب اي بمعدل ١ بالمائة من عدد السكان . ولكنهم ينتمون الى خمسين بلدا من بلاد الله .. هم بدورهم جاؤوا نسيجا جاهزا للتفصيل على مقياس الحاجة الاسرائيلية ، ان القائمين على الهجرة لا يقبلون فيها الا الشباب الصغار ... وتلك الجامعات الى هذا وذاك تحوي الكليات ، التربية والاداب والحقوق والعلوم الانسانية بلى ، ولكنها تركز بصورة اساسية على الكليات الاخرى : على الطب والصيدلة والزراعة ، وعلى العلوم الفيزيائية واقسام الرياضيات ودوائر الكيمياء بالوانها (من تحليلية وعضوية ولاعضوية وفيزيائية وحيوية) وعلسى دراسات النباتات والجيولوجيا والارصاد والمناخيات والهندولوجيا ، هنا كل هم الجامعات .. الجامعة العبرية وحدها اخرجت عام ١٩٦٦ (١٢٦) دكتورا في العلوم و ٣٠٦ متخرجين بدرجة ماجستير علوم ايضا ، وما هي وحدها في الميدان . وراها للرفد والتعاون من المعاهد العليا الجامعية ايضا ستة عشر معهدا . منها ما هو للجغرافيا ومنها ما هو للعلوم الفضاء ، او للدائن او الاليات او للمعادن او الدراسات النووية او ابحاث المناطق القاحلة ، او البحث البيولوجي ، ومن وراء هذه المعاهد اربعون مؤسسة ومختبرا ومركزا للثقافة العالية ، ولكن لخدمة كل ذلك والنسيج انما هو البضاعة البشرية العلمية المستوردة . في القمة من كل هذا التكوين العلمي يبرز معهدان علميان ليست مهمتهما التعليم العالي ولكن خلق العلماء الكبار : معهد التكنيون على جبل الكرمل بحيفا ومعهد وايزنم في روجوبوت . الاول عتيق بدأ مع مطاليع الاستعمار الصهيوني عام ١٩٠٧ فهو الان مدينة للعلوم والتكنولوجيا ، وليس المهم طلاب التكنيون الاربعة الاف ، ولكنهم اساتذته المائتان والخمسون ، انهم نواة التكنولوجيا الاسرائيلية . جميع فروع الهندسة في ايديهم : المدنية والميكانيكية والكهربائية والكيميائية والزراعة والطيران والصناعة والادارة وهندسة البناء عسدا العلوم النووية وتكنولوجيا الغذاء ، ومؤسسة اينشتاين للفيزياء ومؤسسة غولدربرغ الالكترونية ...

واما معهد وايزنم الثاني : الذي بدأ عام ١٩٣٤ فهو الان مركز عالمي علمي : هو اسرائيل العلم فيه وفيه علماءها ، لا يدخله الا حملة الماجستير ، فهناك ٣٧٠ استاذ وخبيرا ، و ٣٢٠ طالبا فقط ، ويحوي المعهد عشرة اقسام في الحقول التالية : الرياضيات التطبيقية، الفيزياء النووية ، التأثير النووي ، الالكترونىك ، بطورات اشعة اكس ، النظائر، التجمعات ، البيوفيزياء ، الكيمياء العضوية ، الاحياء التجريبية ... وفي المعهد احدث مسرع نووي لقفذ النوى الذرية ، وفيه اكبر دماغ الكتروني تم تصميمه وصنعه في المعهد نفسه يقوم بربع مليون عملية حسابية في الثانية من ٧٥ رقما ، وفيه اصخم جهاز للتحليل الطيفي في العالم ، ولكن من الذي اقام هذا كله ؟ انما اقامه الاستيراد البشري والمعونة العلمية والمالية الاجنبية وراء هذا الاستيراد .. ولعل الهم من كل هذا ليس العدد والكم ، ولكن سوية الابحاث وجدتها في الوسط العلمي . علماء تلك الجامعات والمعاهد ولو انهم ليسوا من اسرائيل في التكوين ، الا ان نظرياتهم التي اصحت اليوم جزءا من التراث العلمي العالمي : انما تحمل اسم اسرائيل وسمعتها في كسل مكان .. ثمة نظريات ثنتي ، وتطوير نظريات اخرى في الرياضيات : (في التحليل والاحتمال والمنطق الرياضي) والرياضة التطبيقية وحل

الاميركية الصهيونية هو هذه الحقائق التالية : وما تقدم منها الا الامثلة المحدودة : شركة امبال لتمويل المشاريع الاقتصادية هي من شركات الهستدروت وتعتبر اكبر شركة استثمار منفردة في اسرائيل ، ولكنها شركة اميركية ايضا ، تعرف شأنها ان عرفت ان ما قدمت من القروض بلغ حتى عام ١٩٦٣ حوالي ٥٥٠ مليون دولار وزاد حوالي ١٥٠ مليون اخرى حتى ١٩٦٦ ... ويتفرع عنها ١٧ شركة للاعمار والبتترول والنقل البحري (زيم) والمصائد والسماد والزيوت والسكر والضمان ... وشركة فلسطين الاقتصادية التي تزيد ارباحها السنوية عن ٥٠ مليون دولار شركة اميركية اسرائيلية تتبعها احدى وعشرون شركة ضخمة مثل تلك الاولى . وشركة كور الصناعية وسوليل بونيه للبناء وماير للضمان والتأمين كلها مؤسسات مشتركة مع هذه الشركة من ورائها شركات بعد شركات . وهي في التحليل الاخير شبكة معقدة من المصالح التي تربط بين اسرائيل كمشروع اقتصادي سياسي وبين كسار بيونات الاقتصاد والمال الغربي .

في عام ١٩٥٨ اشترى الراسماليون الاميركيون ١٢ مؤسسة اسرائيلية كبرى ، من جملتها زيم للنقل البحري ، و (يشوفيم) و (ويلكس) ، ثم جاء دور ثلاثة من اهم مصانع صقل الماس سنة ١٩٦٠ ، ثم حصل الاميركيون على امتياز التنقيب عن الفوسفات في النقب واشتروا مصانع حيفا لانتاج المواد الكيماوية ، ان مجموع الاستثمارات الاجنبية في الاقتصاد الاسرائيلي يبلغ حوالي سبعة الاف مليون دولار . اما نصيب الاحتكارات الاميركية في القطاع الخاص وحده فقد ارتفع من ٣٢،٨ بالمائة سنة ١٩٥٦ الى ٣٧ بالمائة عام ١٩٥٧ ثم زادت ، فهي تبلغ في بعض التقديرات ١٩٦٥ اكثر من ٧٢ بالمائة ، وهل تذكر بعد هذا اولئك السبعين ملياردير الذين نداعوا من ١٤ دولة راسمالية الى القدس في ٩ اب من صيف ١٩٦٧ لمنع انهيار الاقتصاد الاسرائيلي ؟ واحد منهم فقط من آل روتشيلد وضع تحت تصرف اسرائيل ٥٠٠ مليون دولار ... ترى هل جمعهم الحماس القومي الديني وحده ؟ ومنذ تسعة اشهر فقط جمعت اسرائيل مؤتمرا ماليا اخر حضره ٤٥٠ راسهاليا ضخما من ٢٠ بلدا ... ماذا فعلوا ؟ واحد من مؤتمر المليونيرات هذا كما سموه (وهو مليونير انكليزي) قرر استقلال ١٠٠ مليون دولار في اسرائيل ، لقد قرروا العمل على ان يتخذوا الاقتصاد الاسرائيلي من الانهيار ومن عجز الميزان التجاري البالغ سنويا ٧٢٥ مليون دولار .. واعلن بنحاس شايبير وزير المالية عرض الحكومة بيع اربعة بنوك لها لمن يشاء .. ان اسرائيل من اجل البقاء تبيع الان الفرص الاقتصادية الموجودة فيها وتريد ان تشارك اكبر عدد من اصحاب المصالح معها في المفامرة ليدافعوا عن المفامرة . وليس الاقتصاد الاسرائيلي بعد كل هذا بالظاهرة العجيبة الغربية في دنيا الاقتصاد ؟ ..

اذا اطلنا الان من الزاوية الاخرى : زاوية العلم ، اطل علينا من اسرائيل وجه اخر ، لا يقرب عنه الاميركي البشع ، ولكنه بدوره ايضا احدى قواعد الجسور التي يقوم عليها بناء اسرائيل العمقي في الارض المحتلة ، منذ اللحظات الاولى ادركت الصهيونية ان العلم سيكون احدى سلحتها ضد العرب . ادركت انها يجب ان تستغل الفارق الحضاري العلمي بين المجموعات اليهودية الاوروبية وبيسن القوافل العربية الخارجة من عنمة الحكم العثماني . ومع المستعمرات الاولى التي سبقت الانتداب البريطاني كان ثمة مستعمرة من نوع خاص تظهر : الجامعة العبرية سنة ١٩١٧ وبعد ١٩٤٨ ظهرت ثلاث جامعات اخرى : في تل ابيب وفي بارابلان (رامات غان) سنة ١٩٥٣ ، ثم في حيفا سنة ١٩٦٤ ، تسير كلها على المنهاج الجامعي الاميركي وتؤلف نسيج التعليم العالي اليهودي ... نقطة اللقاء في هذه الجامعات هي محاولة تثبيت الوجود اليهودي في فلسطين ، ضرب جنوره في الارض . ولعل وجود جامعات اربع امر عادي في مليوني نسمة ونصف المليون بل ربما كان عاديا ايضا وجود فروع للجامعة العبرية في تل ابيب وروجوبوت تجعل

ثانيا : وتملك اسرائيل تجهيزات ذرية اخرى هامة ، قد لا نجدها دول اوروبية عديدة ، منها خمس سرعات نووية وعدد من اجهزة فصل النظائر ، والتحليل والتكسير النظائري والميكروسكوبات الالكترونية واجهزة رصد وقياس وكشف الاشعاع النووي ومولدات النيوترون .. وبين مشاريع العمل الذري الاسرائيلي تحلية مياه البحر وتهيئة النظائر المشعة وانتاج الطاقة الكهربائية .. وفتح قناة اخرى عبر وادي العربة يلقي قناة السويس ..

والقنبلة الذرية ... هذه القنبلة التي اوضحت في العالم سلاحا سياسيا اكثر مما هو حربي تنقلنا بالتداعي الى النقطة الثالثة : الى التكوين العسكري لاسرائيل . ومبكرة جدا كانت الصهيونية في فلسطين تلبس اللون الكاكي وتحمل البندقية . في الحرب العالمية الاولى كان بن غوريون واشكول وشاريت يؤلفون فرقة عسكرية بجانب الحلفاء ، ثم بعد تلك الحرب مباشرة كانت فرقة عسكرية تحاول وضع حدود الدولة اليهودية بين سورية وفلسطين يقودها بيريت ترومبلدور ، ثم تعددت الفرق فمن وحدات الليل الى هاتساعير ، الى اليبالمخ الى شترن والى الارغون ترفاي لثومي والهافانا .. ان نمو عملية الاستيطان والانزراع في الارض قد رافقتها بالضرورة نمو مقاتل من حركة عسكرية ، كان وجودها غير قابل للانفصام عن بناء المستوطن الزراعي . ادمغة التخطيط الصهيوني لم ترد بالقوى العسكرية الى الدفاع والهجوم فقط . انها كانت تريد لها ان تسهم في عملية الدمج ايضا ، ان تصهر الشتات اليهودي في البوتقة العسكرية الواحدة . ان تخلق اخوة السلاح ، عنصرا قوميا موحدا يلقي غربة الاجناس اليهودية التي تزيد على السبعين . وكانت تريد في الوقت نفسه ان تثبت الاستعمار اليهودي في الارض . روح الجندية والتكشيف والدفاع هي وحدها التي تزرع اليهودي الغريب في الارض الغريبة ، وتقيم بينه وبينها بالدفاع ولذة الفصص والامتلاك صلة موازية لصلة الوطن . اشبهه شيء بها . وقد تعدل وجود جنود من الاجداد فيها ، من هنا ظهرت المستعمرات وظهر القطاع الزراعي الذي يشبه الشكنات ، وظهرت الشكنات العسكرية التي تستر المدفع بالمحراث وتؤوي الناحل والجنداع ، وبرغم كل مظاهر السياسة والاقتصاد والعلم فالعقيدة العسكرية هي السيدة في اسرائيل . العنصرية اليهودية لا تجد في هذه العقيدة انتقاما لماضيها الذليل فقط ، ولكن تجد فيها السبيل الوحيد للبقاء . اوليس كل السياسيين الحاليين في اسرائيل قد تربوا في العصابات الاولى ؟ اوليس الارهاب الهمجى هو الذي اخرج بين ليلة وضحاها مليون انسان فترك لاسرائيل مجال الظهور المستقر على ارض خالية من البشر ، على طريقة طرد الهنود الحمر ؟ اوليس العسكريون هم الذين قدموا القاعدة الارضية الواسعة لتلك الدولة : اعطوها مجانا في شهر سبعة اضعاف ما حاولت جهود المال والسياسة والعقيدة والاقتصاد ان تأخذ في خمسين سنة ؟ او ليست القنوة اخيرا هي التي حققت انتصارات الصهيونية في سنة ٤٨ و ٥٦ و ١٩٦٧ ؟ الساسة ، قادة الامر ، مخطوط الصهيونية ، رجسالة السيطرة الحزبية كلهم على القناعة الان بذلك . اضرب لكم الامثال من اقوالهم ؟ « نواة القومية اليهودية انما كان في الحركة الارهابية الاولى » كذلك قال كريستوفر سايكس المتصهين . « انتصارات اسرائيل بما في ذلك حرب الايام الستة ، انما تدن بالكثير الى روح (كتابت اليبالمخ) .. كذلك قال حاييم بارليف رئيس الاركان . « البت في الامور يتوقف على قوة السلاح لا على القرارات الرسمية » كذلك قال بن غوريون . ما عادت اولية الروح العسكرية في اسرائيل بحاجة الى تبرير ، لا سيما اذا كان فائض القوى في الكمبيوتر والموشافيزم وكانت الاموال الخارجية تنهمر كعطر الذهب ، تقدم لتلك الروح الوقود اللازم من رجال وسلاح . تسمح لاسرائيل بخدمة عسكرية اجبارية لثلاث سنوات وبتجنيد ١٥ بالمائة من السكان . وبلاحتفاظ بالجيش في حالة استنفار دائم فترات طويلة ، وتقدم العدد والتدريب بل والرجال .. ان اسرائيل تنفق ١١٧ بالمائة من دخلها القومي في الجيش . واذا لم يكن هذا

مشاكل المد والجزر في المحيطات - وهي المسائل الملقة منذ قرنين .. وفي الفيزياء (دراسة الحلقة النووية ، استخراج الماء الثقيل ، وتؤمن اسرائيل ٩٥ بالمائة من حاجة العالم كله . وهي تستعمل كمعدل في التفاعلات النووية ، وفي الكيمياء (القياس اللامتجانس ، عمليات التبادل الايوني ، الهيدروجين الذري ، تجمع الاولييفين ، والركبات الكربونية ، وابحاث التجمع اي البلاستيك والنايلون) وفي البيولوجيا التجريبية ابحاث هامة حول استخدام الانسولين في علاج الغدد الصماء وحول فقر الدم وحول السرطان .. وغيرها في الطاقة ومصادرها المختلفة من شمس وهواء وكهرباء ، وفي التعدين وفي ابحاث الفضاء والجاذبية والاشعة الكونية وغيرها وغيرها .. ليس ينتهي الاحصاء . وتعرض هذه النظريات في المؤتمرات الدولية العلمية التي لا تكاد اسرائيل تغيب عن واحد منها . فيما بين ١٩٥٥ و ١٩٦٥ عقد حوالي ٥٥٠ مؤتمر علمي شاركت في ٨٨ بالمائة منها ، لم يسبقها سوى الولايات المتحدة التي كانت نسبة حضورها ٩٤ بالمائة . اما بريطانيا ٨٦٥ بالمائة والمانيا ٨٤ بالمائة وفرنسا ٨١ بالمائة فجاءت بعد اسرائيل . وهذا يعني ان اسرائيل اسمعت اذن صوتها العلمي في ٤٨٤٢ ندوة ومؤتمرا وحلقة واجتماعا ودورة .. ولم تنس ان تستغل لديها المؤتمرات ، ففي كل يوم جماعة علمية جديدة تصل الى اسرائيل لاجتماع جديد . من اخر مؤتمراتها الطبية ، ذلك الذي عقد اوامر عام ١٩٦٥ باشراف رابطة اطباء وجمعية الاشعة ومؤسسة الطاقة الذرية ، وهو المؤتمر الطبي الاسرائيلي الثاني للطب النووي ، ودرسوا فيه استخدام الاشعاعات المؤينة في معالجة الاورام ، واستعمال النظائر المشعة القصيرة العمر ، وائر الاشعاع في دورات التحويل الغذائي . وفي حزيران الحزين نفسه ٦٧ كانت وفود من ٢٧ دولة في دورة تدريب في اسرائيل حول موضوع البيولوجيا الاشعاعية تضمنت دراسة الوسائل الدموية والخلايا في فحص التلف الذي يحدثه الاشعاع في الجسم .. وقد سبق هذه الدورة مؤتمر في اذار اشتركت فيه ٢٢ دولة حول فيزياء الطاقة العالية والبناء النووي ودرس فيه بين ما درس تفاعلات الالكترونات والميزونات والميونات مع النوى الذرية نظريا وعلميا .. وجاءت بعده دورة تدريبية في تموز حول التقدم في فيزياء الجسيمات باشراف حلف الاطلسي والحكومة الايطالية بلى ، لقد عقد معهد وايزمن هذه الدورة في صقلية باسم اسرائيل .. بسبب ظروف الحرب . واحسب هاهنا انكم تتصورون اني احوم ثم احوم حول موضوع الذرة في اسرائيل دون ان اقتحمه .. وما هو بالهرب منه ولكنه ابقاء اهم الى النهاية : بعد ثلاثة اشهر بالضبط من قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ كانت مؤسسة الطاقة الذرية الاسرائيلية قد وجدت ، وبدأت نشاطها تحت اشراف وزارة الدفاع ..

حصاد عشرين سنة في هذا الميدان كان :
اولا : اربع مفاعلات ذرية بلغت تكاليفها ٣٦٢ مليون دولار ، ثلاث منها في وسط اسرائيل ، والرابع في الجنوب وهي : مفاعل ريشون لوسيون الذي انتهى بناؤه اخر ١٩٥٦ ومفاعل ناحال سوريك انتهى في ختام ١٩٥٨ ومفاعل النبي روبين الذي انتهى ١٩٦٧ ، وهذه المفاعلات الثلاثة ليست بذات الشأن من الناحية الحربية . ان مهمتها هي تهيئة الخبراء والفنيين والاجهزة العلمية اللازمة للمفاعل الرابع الاخطر ، مفاعل ديونا في جنوب شرق بئر السبع . الذي انتهى في عام ١٩٥٩ ولم تعترف اسرائيل به الا بعد ان افصح ١٩٦٠ .. مجموع طاقات هذه المفاعلات ٢٢٧ مليون واط حراري ، وقد عملت على تاسيسها اميركا . ثم تبنتها فرنسا ، ثم عادت اميركا فاخذتها في اطارها الواسع ، وعنايتها الشاملة .

برنامج الذرة من اجل السلام الاميريكي ، اخذت اسرائيل وحدها فيه ١١ بالمائة من شحنات النظائر المشعة التي يقدمها البرنامج ، اكثر من حصة ٦ دول مجتمعة .. واخذت ٢٦٥ طنا من الاورانيوم الطبيعي و ١٩٢ طنا من الاورانيوم القوي ، ١١٥ طنا من الاورانيوم الجاهز للتفجير و ٣٠ كيلوغراما من البلوتونيوم الخالص . كما حصلت على ٩٠ بالمائة من الوقود النووي اللازم لمفاعلاتها .

الرقم يعني الكثير لديكم فانظروا معناه في هذه الارقام التي يقدمها معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن : الولايات المتحدة لا تنفق اكثر من ٨٩٩ بالمائة من دخلها القومي في الحرب . والاتحاد السوفياتي ٥٧ بالمائة فقط . وكانت بريطانيا تنفق حتى السنة قبل الماضية ٦٧ بالمائة ثم خفت الحاجة نسبتها . فرنسا تنفق ٥١ بالمائة ، والمانيا ٥ بالمائة ، وبلدان اوروبا الشرقية بين ٢٤٤ و ٢٥٥ بالمائة ، ايطاليا ٢٤٢ بالمائة ، الهند ٤٧ بالمائة ، يوغوسلافيا ٦ بالمائة . رقم اسرائيل اعلى رقم في الدنيا لا سيما اذا عرفنا ان نسبة البطالة التي بلغت ٩٦ الف عامل خلال العام الماضي تشكل ١٠ بالمائة من الطاقة العمالية وترك اثارها القاسي في الدخل القومي . ان نفقات اسرائيل العسكرية لو وزعت على مساحة الارض لكانت تكاليف الاحتفاظ بكل ميل مربع فيها تصل الى ١١٣ الف ليرة اسرائيلية . هذا في الارقام المعلنة ، عدا السرية وعدا حسابان المونات العسكرية الاجنبية . ولو وزعت النفقات على الافراد لكان تكاليف الابقاء على الفرد الواحد في فلسطين يبلغ ٢٤٤ ليرة اسرائيلية سنويا . ومع ذلك فان هذه الميزانية قد ارتفعت ايضا في هذه السنة المالية التي سوف تنتهي بعد ثلاثة اشهر . ميزانية ٦٨ - ٦٩ بعد ان كانت تشكل ٢٤٤ بالمائة من ميزانية السنة الماضية اصبحت الان تشكل ٦٥٧ بالمائة من الميزانية الحالية . . لا . . لم تنشر النفقات الفعلية . . ما نشر فقط هو الذي ظهرت فيه الزيادة ٨٠ بالمائة خلال عامين . . .

هذا والجيش يسير منذ عام ١٩٤٨ على الاقل ضمن حركة لولبية متزايدة المحيط من السيطرة والتوطد : المزيد من محاولة التوسع والنصر ، والمزيد من التوسع والنصر يدفعه بالمقابل الى المزيد من القوة . . . واذا كان دايان الذي تحول فجأة الى بطل قومي يتهيباً لاستلام الحكم في اسرائيل فثمة من مثله آخرون : ثمة سيمون بيريز خاصة واسحق رابين ويغال آلون وحاييم بارليف هم نجوم الجو السياسي اليهودي في القد . . .

تري ، هل استظمت ان القبي بعض الاضواء على خطة التغطفل العمقي في الارض ؟ وهل تكشف علاقاتها الخلفية : علاقات اليداهة والتكامل مع الخطة الاخرى : خطة الانسيح الاقفي في الارض ، خطة التوسع العدواني ؟ هذه الخطة الاخرى ، لقد يكون من التنبؤ المشائم ان نلاحقها ، ولقد نرفض في نوع من طرد المخاوف السوداء تصديق خطوها التي تبين ولا تبين . كل ضربات الصهيونية ابقيناها لدينا بين الشك واليقين حتى فاجاتنا بقتة عند الوريد . . .

هذا التكوين الاقتصادي - العلمي - العسكري الذي سموه اسرائيل ، ليس بالتكوين المحدود المكان ، اطماعه في الارض اوسع من واقعه الحالي بكثير . اوليس بالواضح انه ما دام الهدف الصهيوني تجميع اليهود اجمعين من المنفى فان الحاجة سوف تظل مستمرة الى المزيد من الجال الحيوي ، والمزيد من الاتساع باستمرار ، أي الي المزيد من الارض لعمليات الاستيطان والاستثمار ؟ وما دامت هذه الحاجة قائمة فلا بد اذن من ان يلازمها تطوير القوة العسكرية الهجومية بشكل يضمن الاستيلاء على هذه الارض بالمجان ، على الطريقة النسي اثبتت نجاحها ، بدلا من التربص ، في الارض المحدودة للدفاع ؟

اذا كانت اسرائيل لم تقنع حتى في هيكل الدستور من حدود لها ، فلانه ليس لها في الاطماع من حدود . الفرات والنيل في التوراة وعلى باب الكنيسة من ذا الذي قال انهما لا يعنيان اكثر من ملامسة النهرين ؟ او انهما لا يعنيان ملك الحوضين اجمعين بين خليج البصرة والتيلين في السودان ؟ ولست لاذكر بمصور اسرائيل الذي يضعه حزب حيروت رمزا لجماعته ، والذي يلف شرقي الاردن وجنوب لبنان وسورية وتمتد في وسط بندقية تشقه من العقبة حتى اقصى البقاع . . لا . . ولكني اشير ايضا الى مصور جديد ظهر منذ اسبوع فقط في كتاب صهيوني بالولايات المتحدة : اسرائيل القد حدودها انما هي مع تركيا في الشمال . . ذلك القدر من الله ولا راد لقدر الله . كذلك يقولون الان . . . فلا لبنان اذن هناك ولا الاردن ولا سورية سوى شيء

من البداية . . . ومذ الان بدأت النظريات الصهيونية الدعائية لهذا المخطط تنزل السوق تيريرا وتكريسا ، كل خطوة يخطوها الصهيونيون فانما يصوغونها في نظرية واطار علمي مما يبتكرون . الجهد النظيري يعينهم على ان يلبسوا اطماعهم والعدوان ثوب العلم والمنطق . . . نظرية الردع ، نظرية الحرب الوقائية ، نظرية الغارة الانتقامية لتوطيد الامن الداخلي . سجلوها حتى في كتاب حكومة اسرائيل الرسمي حتى استقرت . . منذ حزيران تغيرت النظرية : النظرية اليوم خطوة اكثر جرأة وصفاقة . . اسحق دويتشر اعطى الجانب السلبي من النظرية الجديدة في قوله « في مقال بمجلة الازمنة الحديثة تشرين ثاني عام ١٩٦٧ » (سلامة اسرائيل لا يمكن توفرها الا بحروب متوالية دائمة تؤدي في النهاية الى القضاء على قوة البلاد العربية قضاء تاما) . اما الجانب الايجابي فكان من نصيب بنيامين اكسين استاذ العلوم السياسية والحقوق الدستورية في الجامعة العبرية والاستاذ الزائر الان في باريس ، منذ اشهر بالضبط خرج في الهيرالد تريبيون بالنظرية ، انه لا يتحدث عن المدى الحيوي للشعب الاسرائيلي . مثل هذه الفكرة جديدة بان ترفض لما تحمل من ظلال الجو النازي والاستعماري ولكنه يتحدث في اطار العدل العالمي وتوزيع الثروات العالمية بين بنسي الانسان . يقول « ان العالم يعيد توزيع الثروات والارض بين الشعوب ، والان من حقنا ان نأخذ حصتنا . لم نعمل بعد سوى ان نأخذ قطعة صغيرة من الارض العربية الواسعة التي تزيد مرتين عن حاجة العرب . . . ويضيف قوله منطلما : من هذا يرى العالم مدى الظلم في هذه الحرب التي يشنها علينا العرب منذ عشرين سنة . . تلك الحججة التي نرميهم بها من ان فلسطين لا تتسع ليهود الارض تنقلب الان ضدنا ، هم يرموننا نحن الان بضدها : لئن لم تكن تتسع لخمسة عشر مليونا فاعطونا اذن ما يكفي . . . من الحق الانساني ان نأخذ الباقي . . . كذلك الان يقولون .



حصاد هذا الشوك كله ان عملية زرع اصطناعية لمضوية ملتزمة متوسعة تتوضع بين الشفاف والقلب من عضوية اخرى . كل ما يمكن ان تهبه الوسائل الحديثة من امكان النجاح يوفرونه لهذه العملية ، كل ما يشتري بالمال او يستشار بالدين ، او يملك بالضغط والاكراه او يوصل اليه بالمؤامرة وبالسيسة او يقتصب بالقوة المدمرة او يلقى بالتشويه وخذاع الراي العام كله وصلوا اليه . . . ومع ذلك فان اسرائيل تجد نفسها الان ، رغم كل هذا النصر المذهل ، امام نقطة ما حسيت يوما من الايام حسابها الحقيقي : اما اصحاب الارض . كل ما كسبته فانما هو مهدد بكابوس اصحاب الارض ، ساسة اسرائيل يدورون منذ حزيران الماضي حتى اليوم حول كلمة : « المفاوضات المباشرة » . انها لا تعني سوى اننا نريد اعتراف اهل هذه الارض بنا جزوا منهم ومنها ان يقبلوا بنا فلا قتال من بعد . يريدون ان يحولوا عدوانهم العسكري الى علاقة سلم ، لانهم آمنوا اخيرا ان المستحيل بقاء لدولة في اطار من العداء . وراء رغبتهم في ترجمة النصر العسكري الى نصر نهائي تقع الرغبة الاهم في ان يعترف اصحاب الارض لهم بالارض . ان يطمئنوا انهم وصلوا اخيرا الى الوطن . . . وانهم اخيرا في هذا الوطن آمنون . . . هذا الاصرار على المفاوضات المباشرة انما هو اعتراف لاول مرة من قبل الصهيونية بالعرب كقوة . . بلي . . ادركوا انه ان لم يكن هذا الاعتراف فليس من امل على المدى البعيد بالوطن : لا قرار الامم المتحدة لهم بالضمانة ولا اعتراف الدول بالنهاية ولا البيان الثلاثي بالعاصم ولا القوة العسكرية بالوقاء ولو ابتلعت الرحاب . . بن غوريون حين رفض ورقة هوية ١٩٥٨ لانها مكتوبة بالعربية مع العبرية انما كان يعبر عن موقف الرفض لكل ما هو عربي . . خطوط العمل الصهيوني منذ كانت طرقت جميع الابواب الا العرب فقد اهلوا مرة واحدة ، وتحت ضغوط الحلفاء تحدثوا وابتزوا من مع فيصل بن الحسين ثم أغلق الباب . . . توجهت الصهيونية الى الوسائل الاخرى التي تنتهي بارغام العرب . كل ما حظي به سكان فلسطين

ان ترحل او أن تخضع او تذوب .. . واذا كان الصدام القائم اليوم بين الصهيونية والعروبة نضالا مريرا بين قوميتين ، كلاهما في طور النمو ، وكان للصهيونية بعض اسباب النصر ، بسبب السبق العلمي والتخطيطي ، فما من قوة في الدنيا تستطيع ان تمنع مائة مليون عربي من اتمام الطريق ، ومن الوقوف ذات يوم قريب او بعيد ، موقف الاقوى من الفئة الباقية . والمسألة في التحليل الاخير مسألة زمن واردة ليس غير .

ويتساءلون عن طريق الخلاص ؟ انها الميرة الميرة ، الطويلة الطويلة . نحن في الواقع محصورون في الزاوية وبانغم منا أمام طريقين ولا ثالث : نضال صار حتى النصر او مصير كمصير الهندوس الحمر ! اما ما يزعمون من حل سلمي او من سلام دائم وراه قد يكون فليس بالطريق الثالث . انه المصير الثاني ولكن بالاستعباد والموت البطيء . انه لا ينهي المشكلة ولكن يبذرها لان اسرائيل ، يوم يكون السلم سوف تمارس هدفها الحقيقي الذي انشئت من اجله : استثمار الشرق العربي وابتلاعه موارد وقوى بشرية . وهي اذن النهاية . ليس امامنا الا النضال الصاري سبيلا وحيدا .. . وانا لنحتاج فيه كل القوى ، بلى كل القوى . ما من سلاح يحق لنا او نستطيع ان نستغني عنه . ما من سلاح الا وله مكانه وقيمته في المعركة . وان اسس العمل فيما احسب ، وفي اطار ما اثارته الصهيونية ذاتها ، وما استخدمت ، هي :

اولا : اعطاء القضية البعد الروحي المفقود . اعطاء الدين مكانه في النضال . تجنيد العقيدة . ان الدين في جوهره حركة خلق وتفجير وامل ونزوع الى الاسمي . والاسلام خاصة متصل بجوهر الوجود القومي العربي ارتباط هذا الوجود به . والمسيحية متصلة بالرحم بتلك الارض ولا اتصال اي دين بارض واقداس . ان وضع القضية على انها عربية او اسلامية ، قومية او دينية ، خطأ في الاستراتيجية النضالية خطيرة . هي هذا وذاك معا . على الا يعني هذا ولا ذاك تميع النضال بتركه للمسلمين جميعا حتى يجمعوا عليه ، او تنفي المسيحية لاقداستها انفاذا .. . او انتظار الوحدة العربية فيه حتى يبدأ . اني انما اعني بوضوح ان تلتهب كل النيران الداخلية فينا قبسا ونورا وبركانا اتيا . النضال السابق حتى الآن انما افتقد في الواقع الروح . اهملها ثم لم يستطع ان يعوض بها ، رغم الجهد الثوري ، عقيدة تحل محلها في السمو والعمق والسمود ، ولا في الدينامية المحرصة الشاملة .

ثانيا : تحويل القضية الى هم قومي شامل . ان تصيح قضية شكسبيرية ، قضية وجود او لا وجود قومي . ان تفتضح ابعاد الخطر فيها على الوجود العربي ككل . ان يعرف انها في الواقع الاخير ، انما هي الصراع من اجل البقاء لان الصهيونية هي الاستعمار المطلق . ليست عملية تحد حضاري - قومي فقط ، هذه الكارثة ، ولكنها عملية ابادة تزحف .. . الهنود الحمر ، واهلنا في الاندلس ، والانسان الاسترالي ، امثلة من الامثلة ، ان شئنا الامثال . ولسوف يكون الرد الطبيعي على هذا الزحف الابادي الوحدة . الوحدة على اي صورة شاؤوا تصوروها . كتلة المقاومة هنا ، على ارضنا الكبرى وفي ضلوعنا يجب ان تكون . وليس اغنى ممن تكون النار في داره والتلابيب ، فاذا هو يطلب اطفاءها في فيننهام او كوبا او مع قضية الزنج في ارض الزنج .

ثالثا : جعل القضية مطلبيا شعبيا ثوريا . ان تعبئة كل القوى الشعبية هي السبيل الوحيد . تحرير الشعب وتنظيمه هو الثورة ، لا اثاره الفرائز القوغائية فيه ، وركوبها لحكمه . العمل الواعي العميق في اطار الشعب العربي كله هو الضمانة ، لا سوق الناس بالارهاب الى حيث لا يعلمون ولا يؤمنون . التحرر الاقتصادي - الاجتماعي الشعبي الشامل ، والتنظيم الاشتراكي العلمي للموارد القومية ، ووضع القوى الكبرى في وجه الاخطار الكبرى ، هو وحدة الطريق .

رابعا : ليست القضية عسكرية فحسب . ولو كانت ، اذن ارتضينا - طائعين او مرغمين ، وان يكن ذلك غير صحيح - ان يلي امرها وامرنا

من تفكير هرتزل هو قوله : « حين ينتقل اليهود الى منطقة تكثر فيها الحيوانات البرية التي لم يعتدها اليهود كالأفاعي (والفوييم عنسد اليهود هم اولاد الافاعي) فسوف نستخدم الوطنيين لآبادة هذه الحيوانات .. » وقد اتبعت الصهيونية من بعد ، هذه الوصية ، الابادة والارغام والقوة .. . ما حسبوا يوما من الايام حسابا للعرب مواطنين او مجاورين . وايزمن حين ذهب الى اينشتاين يحدته عام ١٩٤٧ في امر الدولة التي سوف تنشأ قال اينشتاين : « ولكن ماذا سيكون موقف العرب اذا اعطيت فلسطين لليهود ؟؟ » فاجاب وايزمن : « من هم هؤلاء العرب الذين تتحدث عنهم ؟ ليس لهم اذنى أهمية .. » ايجرح الكرامة أن نصترف ان العرب لم يعملوا على ان يكون لهم اذنى أهمية ؟؟

ان القضية اليهودية كلها قد تحولت عام ١٩٤٨ . تغير جذري كامل قد دخل على العمل الصهيوني واليهودي كله حين استطاعت الصهيونية ان ترفع على ارض معينة محتلة ، علما يمثل اليهود . وحين اجتمع لهذا العلم والاحتلال والارض اعتراف الدول .. . ومن المأسسي ان الوعي العربي الذي لم يدرك خمسين سنة قبل ١٩٤٨ ان الهدف هو تسليم فلسطين خالية من العرب لليهود . لم يدرك بعد سنة ١٩٤٨ ضرورة تغيير الاستراتيجية العربية كلها تجاه هذا الحدث العدواني الارضي ، لان العالم انما تصور ان الكيان اليهودي انما يقوم على ارض فارغة خواء او انه قديم فيها قدم الابد . وحين فوجئت الامم المتحدة سنة ١٩٤٨ بان في تلك الارض التي قسمتها ثم سكتت عن اغتصاب باقيها ، شعبا وبشرا ومن ينطق ومن يتألم .. . حين فوجئت بانها انما خلقت مشكلة لمليون انسان مستقر ، في محاولتها حل مشكلة ٦٠٠ الف انسان غريب ، لم تجد من علاج للفظة احسن مسن ان تقيم مؤسسة اغائة تحمل الى ابناء النكبة عدة الاف من الخيام وعدة اطنان من الحليب المجفف .. . وجدت انها هدأت الوجدان القلق حين عوضتهم بالوطن خيمة ، وبالتراب الابوي مسحوق اللبن . استطاعت الصهيونية ، مع القصور السياسي العربي ، ان تلقي الشعب العربي في فلسطين فما يبين له وجود ، وان تمحو الارض المقصوبة فما يستبين لها ظل . الفت ومحت ذلك في كل مكان .. . الا هنا ، لدى ابناء النكبة . المفاوضات المباشرة انما هي النقطة الاخيرة التي تريد ان تبصم بها ختام المأساة بتوقيع ابناء المأساة .

ان المشكلة كلية تتناول الوجود العربي ، معقدة فلا اشد اشتباكا من عواملها والعقائيل ، متسارعة تغيير باستهوار قد يجاوز القدرة على التحليل والتدبير .. . بلى ، ولكني مؤمن بالنصر . ولست ابني على الامور العريضة العابرة . ان مصائر الشعوب لا تبني على الامراض والازمات ولكن على الاسس الثابتة الخالدة .

في هذه البقعة من الارض اسس حضارية عريقة اعطت الدنيا منذ ستة الاف سنة الى اليوم كل ما تؤمن به في الروح وما تعرف في الفكر . اعطت الدنيا زراعة الارض وخطوط الهندسة والصناعة والحرف كما اعطته اعلى درجات السمو الروحي يوم علمته الايمان بالوحدانية ، هذه البقعة الخلافة لا تموت .

والشعب في هذه الارض ، ما من شعب مثله في الديناميكية المتصلة وفي الثبات على الخطوب ، رغم الخطوب . لقد مر الفرس بهذه البقاع ، ومر اليونان ، ثم جاء الرومان والروم ، ثم كر الصليبيون وكر المغول وكر التتار وجاء اخيرا المستعمرون الغربيون .. . ذبحوا ذبحوا الارض والبشر والشجر .. . ومع ذلك زالوا وبقي اهل الارض والارض .. . ولئن كانت نقطة الانطلاق الصهيونية في الهجوم ، انما كانت من كلمة « الارض المقدسة » فما تلتك الارض باقل قدسية لدينا منهم .

واعرف ثالثا انه ما من قوم او جماعة عاشت الى الابد في عداة مع الشعوب المجاورة ، وبالرغم من تلك الشعوب . في التاريخ انها اما

العسكريون والعسكريون فحسب . انها اوسع بكثير منهم . وما كانوا ولن يكونوا الا الجزء اليسر - ولا اقول الاتفه - منها . انها تنظيم اقتصادي - علمي - اجتماعي قبل كل اولئك وفوق كل اولئك . والرد الوحيد عليها هو «عصنة» الدفاع العربي ، هو التجاوب العميق مع المرحلة التاريخية للعصر ، التجاوب مع التكنية التي تسلك الدروب ، ومع العلم في اعماق حدوده ، ومع العالمية سواء في الاعلام والدعوة او في ربط المشكلة مع مشاكل الامم الاخرى . انها التخطيط الشامل الذي يعطي كل انسان عربي دوره الكامل في المعركة .

خامسا : اعطاء القوى العربية المادية مكانها ودورها في الصمود والنضال : الارض الواسعة . التكاثر الديمغرافي . المواقع الاستراتيجية الثروات الطبيعية العديدة ، الخبرات البشرية المتزايدة . . . كلها قوى معطلة ، لئن لم يستغلها العرب اليوم لمصلحتهم ، استغلها العدو في الغد ضدهم ، ونهب وذبح واستباح . ولكم في مياه الاردن ، وفي خليج العقبة وفي املاح البحر الميت موعظة بعد موعظة ! اعلم اني انما اخوض الآن ميدان التنمية الاوسع ، ودنيا التخلف العربي وكيف علاجها والخلاص ؟ ولكن ايجعل احد كيف اتصال الوجهين في المشكلة ومدى اتصال الوجهين ؟ ليست القضية ، على الجانبين السلبي والايجابي كصفحتي قطعة النقد الواحدة ؟

سادسا : ان نعرف للقوى العالمية مكانها في الميزان والحساب . ان نحسب القوى المعادية والموالية والممكنة الولاء او العدا على مستوى واحد من الموضوعية والواقعية . ما من شعب يعيش اليوم وحده وانسا لنفتقر ، ولنفتقر الفقر الشديد الى هجوم شامل على العالم . انسا مجهولون حتى الموت ، على كرة الطين هذه . وليس بالسلاح وحده يتمتع الانسان ، ذلك من ملامح الماضي الذي انقضى . اما اليوم فالضمانة ان تصبح قضيتنا احد هموم العالم الاولى . واذا كان منا من انسان يتبنى قضية يجهلها فما من انسان ايضا الا وفي صدره زاوية - مهما صغرت - للحق والمنطق او المصلحة او للمثل العليا . استراتيجيتنا في الهجوم ، هجوم الحب والدعوة في الناس ، يجب ان تبنى على سياسة النفس الطويل : عدم الياس من اي عدو وعدم الاهمال لاي صداقة . ان يعرف الناس ماساتنا ليس جزءا من واجبتنا فحسب ولكنه كذلك جزءا اساسي من تكتيك النضال المنتصر . التصميم على ان يفهمنا الآخرون وعلى ان نفهم الآخريين هو بعض المعركة ، وبعضها أيضا توحيد النضال والتعاون مع كل الجبهات المظلومة على الارض . من مهماتنا نحن ان نبني مدماما بعد مدمام ، هذا الدرع الواقعي من الرأي العام الطوف ، الذي لا يكون النصر نصرا نهائيا الا به . ان نكون في اذان الناس واسماعهم باستمرار وبكل وسيلة ومناسبة وفي كل فج ، ان نبني من المصالح الاقتصادية ومن العلاقات الفكرية جسورا تجاه ، ان نجعل قضيتنا قضية كل حر وان يدافع عن حقنا الانساني كل انسان ، وسائل قد استخدمها الباطل فانتصر ، فهل يمكن ان تفشل في يد الحق ؟ ان سيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام في الدنيا ، ليست اكثر من كذبة صهيونية كبرى . هي من وسائلهم في حربنا النفسية ، وما يزينها لنا الا الياس والكسل . وموقف العالم بجانبنا انما يكون بمقدار ما نعمل نحن على ان يكون بجانبنا . واننا اليوم لاجوج الى هذا الموقف العالمي العطوف من اليهود انفسهم على تفاوت ما بين نوع علاقاتنا تاريخيا مع الناس ونوع علاقات هؤلاء اليهود .

او تحسبون انها اهداف بعيدة ؟ ما هي بالبعيدة ابدا لقوم يؤمنون . اني على النطاق المحلي لاعتقد ان ثمة طريقا . ثمة استراتيجية لطال الطريق . ما دامت الصهيونية انما تهاجم الارض وهذه الارض بالذات ، وما دامت تلتفي او تحاول ان تلتفي الوجود العربي المتصل بها ، فسبيل الدفاع انما هو التثبيت بالارض نفسها ، والانطلاق منها ، واثبات الوجود العربي عليها . غلطة الدول العربية التي تبنت القضية منسد ثلاثين سنة (منذ سنة ١٩٣٧ على الاقل) فأورتتنا اربع هزائم كبرى ، غلظتها الميمنة يجب ان تنتهي . لفسد أخذت صفة الوكيله وليست

بالوكيلة ولا حكماها بالذين يخسون عمق المسألة ، وابتعدت الى الوراء اصحاب الارض فما يبينون . ثم اغرقت القضية في مستنقع مشاكلها الداخلية فما تذكرها الا لالهاف المقاطع في الخطب واشغال التصفيق للانقلابات . ثم لم تنتبه - وعجيب الا تنتبه - التي انها لا تستطيع كدول ان تتصرف بحرية ، على المستوى الدولي ، ضد دولة قائمة دون ان تشير عليها مجمع الدول . وان عليها - بعد سنة ١٩٤٨ على الاقل - ان تطور استراتيجيتها ليكون اصحاب الارض والتكنية في المقدمة وتكون المعركة حرب تحرير !! ان الطريق اذن ان يبرز ، وبقوة ، اصحاب الارض على الارض نفسها ، وان تنشأ قبل ذلك ، وفورا ، المؤسسة المالية التي تتولى هذا الظهور باستمرار وتصب فيها كل اموال الدفاع . واذا كان هدف الصهيونية هو الوطن والاستقرار ، فيجب ان تكون التكتيك الدفاعي المباشر تدمير ذلك الحس بالاطمئنان الذي يحاولون اقامته في المهاجرين . يجب ان يكون الهدف ابقاء حس الغربة قائما بينهم وبين ذلك التراب . اشعارهم ، كل لحظة ، وبكل وسيلة ، انها مقامرة فاشلة هذه المقامرة . انها مرحلة خاسرة مدمرة هذه التسي يخوضون ! حتى الآن ربحوا كل ما يمكن ربحه بالمال والقوة شيء واحد لا يمكن كسبه الا بالثقة والا على الزمن الاطول هو الشعور بالوطن . الذكريات الاثرية لا تكفي . هم يعرفون ذلك . فالخطة الآن اذن هي ابقاء شعور « المنفى » قائما في « اليهودي التائه » . لا وطن له على ارضنا ذلكم هو الشعار . آشيل الصهيوني الذي غطسته آلهة الغرب ودعسم المستعمرين بنهر الخلود ، وبالظلام ضد الموت ، هنا عرفوبه والمقتل . وهنا يجب ان تنزل فورا وبالبحاح مطرقة الفدائي الساحقة ، فلا تزول غربة الصهيوني ابدا .

اذ ذلك ، واذا ذلك فقط يظهر ، ولسوف يظهر الكاتب الآخر ولعله يكون ابنة موسى دايان نفسها ، الذي يكتب في رواية اخرى ، قد يكون عنوانها : « طوبى للهاربين » ، يقول بظلمة لابنه وهو يحاوره : « هذا التراب ! احذره يا بني . انه التراب الغريب المرعب ، ان ربك بعيد عنه ، بعيد جدا ! »

شاكرا مصطفى

صدر حديثا

نفع الطيب

من غصن الاندلس الرطيب

ثمانية مجلدات مع الفهارس

تحقيق الدكتور احسان عباس

منشورات دار صادر

ص . ب ١٠ - بيروت